مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص 9– 22

# نظرة تاريخية عن الحياة الاقتصادية لمدينة تيبازة خلال الفترات البونيقية، النوميدية والرومانية

A historical overview of the economic life of the city of Tipaza during the Punic, Numidian and Roman periods

**سايح مرزوق أحمد SAIAH MERZOUK Ahmed**[1]

[1] المركز الجامعي تيبازة، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، saiah.ahmed@cu-tipaza.dz

المؤلف المرسل: سايح مرزوق أحمد SAIAH MERZOUK Ahmed الإيميل: saiah.ahmed@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 08 /2024/10 تاريخ القبول: 16 /2024/12

**الملخص:** هذا المقال عبارة دراسة تاريخية تعالج موضوع الحياة الاقتصادية لمنطقة تيبازة قديما، في محاولة لإبراز الدور الذي تبوأته في مختلف الأنشطة المتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة والحرف، وذلك خلال مختلف الفترات القديمة (البونيقية والنوميدية والرومانية)، خاصة وأن المنطقة امتلكت ولازالت مؤهلات طبعية وبشرية هائلة ساعدت السكان على العيش والتجارة، كما أسالت لعاب الأجانب للاستحواذ عليها على غرار المحتل الروماني. هذه النقاط وأخرى سنعالجها في هذه الورقة البحثية.

الكلمات مفتاحية: تيبازة، الاقتصاد، الحرف، نوميديا، روما، الموقع.

**Abstract:**

This article is a historical study that deals with the economic life of the Tipaza region in ancient times, in an attempt to highlight the role it played in various activities such as agriculture, industry, trade and crafts, during various ancient periods (Punic, Numidian and Roman), especially since the region possessed and still possesses enormous natural and human qualifications that helped the population to live and trade, and also made foreigners salivate to take over it, similar to the Roman occupier.

**Keywords:** Tipaza; Economy; Numidie; Rome; the site.

تبوأت تيبازة كغيرها من المدن الساحلية للجزائر القديمة موقعا جغرافيا هاما ومكانة إستراتيجية على جميع الأصعدة، وهذا ما سمح لها أن تلعب دورا اقتصاديا بارزا خلال الفترات التاريخية القديمة وبشكل خاص خلال الفترات البونيقية، النوميدية والرومانية، أين أبانت المنطقة عن مؤهلاتها الطبيعية التي استخدمها السكان المحليين والوافدين الأجانب إليها في تطوير القطاعات الاقتصادية الثلاث (الزراعة، الصناعة، التجارة)، وهو ما جعل المنطقة متحفا أثريا على الهواء الطلق يروي تاريخها الغابر ويحكي مآثر السكان القدامى للمنطقة، فأين تقع المنطقة جغرافيا وفلكيا؟، وفيما تتمثل أهم محطاتها التاريخية؟، وفيما تكمن أهمية المنطقة الاقتصادية خلال الفترات التاريخية القديمة؟.

## 2. الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة تيبازة::

لأراضي تيبازة موقعا جغرافيا هاما، وتتبوأ مكانة إستراتيجية نظرا لإطلالتها على البحر الأبيض المتوسط وطول شريطها الساحلي، فضلا على خصوبة أراضيها وغناها بالثروات الطبيعية.

**2-1 الموقع الجغرافي**: تقع ولاية تيبازة في الشمال الغربي للعاصمة(**ينظر: خريطة الحدود الإقليمية لولاية تيبازة**)،تشرف على البحر الأبيض المتوسط شمالا، يحدها غربا الشلف ومن الجنوب الغربي عين الدفلى وجنوبا فالبليدة أما شرقا الجزائر، وتتربع على مساحة إجمالية تقدر بـ *2166* كيلومتر مربع[1]، وبفضل هذا الموقع فهي تتميز بتنوع مظاهرها التضاريسية (سهول، جبال وهضاب).[2]

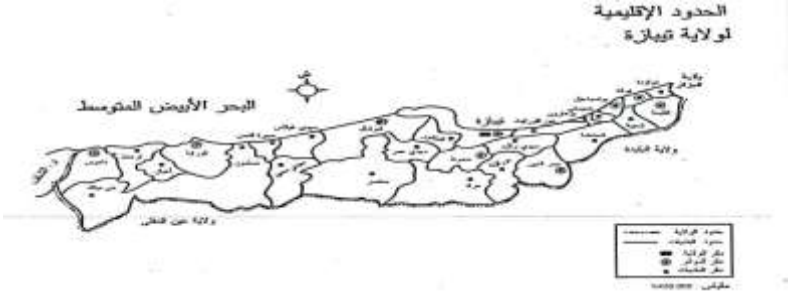


**المرجع: عنصر عبدا لقادر، المرجع السابق، ص 66.**

وبفضل تباين التضاريس والقرب من البحر فإن المنطقة كغيرها من باقي مناطق شمال إفريقيا تنتمي إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط، الذي يتميز بشتاء رطب وصيف جاف وحار نسبيا، أما بالنسبة

للتساقط فهو متباين بين الفصول الأربعة ويتراوح سنويا بين *100* و *300* ملم.[3] وهي نسبة تساقط قليلة مما أثر على مر العصور على الجانب الاقتصادي للمنطقة، وبشكل خاص القطاع الزراعي.

**2–2 الموقع الفلكي:** تتواجد المنطقة فلكيا في إقليم استراتيجي تختلف وتتنوع فيه التضاريس ويخضع لتأثيرات عدة منها البحر والمحيط والصحراء، مابين دائرتي عرض 35و36 درجة شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 47 و48 درجة شرق خط غرينتش[4]، وبذلك فهي منطقة تنتمي إلى بيئات المنطقة المعتدلة.

## 3. لمحة تاريخية عن مدينة تيبازة::

تيبازة كغيرها من المناطق المتوسطية التي شهدت تنوع حضاري على مر العصور، باعتباره موقعها الاستراتيجي الذي سمح لها بأن تكون همزة وصل بين ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية. حيث لا تزال آثار مادية شامخة موزعة على تراب الولاية إلى يومنا شاهدة على مختلف الحقب التاريخية.

سميت المدينة باسم تيبازة *(Tipasa)* وهو اسم فينيقي والذي يعني الممر، أو مركز العبور الذي كانت تحتله قديما ولا تزال، فهي مركز ربط بين شرشال (يول –*iol*) والجزائر (إيكوزيوم –*Icosium*)[5]. وصنفت تيبازة ضمن قائمة التراث العالمي في شهر ديسمبر من عام *1982*.[6]

واسم تافزا قديم أطلقه الفينيقيون على المدينة التي كانت عبارة عن ميناء تجاري، يربط بين يول وايكوزيوم فاعتبروه ممرا كما ذكر سالفا، لكن في اللغة المحلية يعني اسم تافزة نوعا من الحجارة الرملية القابلة للتفتت، وهي تسمية بقيت متداولة لفترة طويلة تواصلت حتى مع فترة الاحتلال الروماني للبلاد، كما تجدر الإشارة إلى أن تسمية تافزا لم تنفرد بها تيبازة فقط بل أطلقت قديما على مدن أخرى بشمال إفريقيا، منها مدن متواجدة بمحاذاة واد مجرد بتونس.[7]

### 3–1 فترة ما قبل التاريخ:

تعتبر تيبازة من أقدم المناطق التي استوطن بها الإنسان، ويعود ذلك إلى عصور ما قبل التاريخ وهو ما تثبته المواقع الأثرية المكتشفة والمنتشرة بإقليم الولاية، ويؤرخ لها ما بين العصر الحجري القديم الأسفل والعصر الحجري الحديث[8]، وبالتالي شهدت إنسان الحضارتين العاترية والإيبروموريزية التي يؤرخ لها بـ *12000* سنة

قبل الميلاد.[9] ويعتبر موقع (راسل) بشنوة أهم مواقع ما قبل التاريخ، أين اكتشفت بالموقع بقايا عظمية بشرية وبعض الأدوات الحجرية فضلا عن شقوق الفخار.[10]

إضافة إلى موقع راسل تمتلك المنطقة مواقع أثرية عديدة تعود لفترة ما قبل التاريخ، نذكر منها موقع بواسماعيل، موقع دواودة البحرية، موقع الكوالي ومغارة رولاند، أين عثر بها على عدة أدوات حجرية وفخارية كالفؤوس والخناجر فضلا على الحلي من الأصداف والقواقع[11]. والتي يعود تاريخها إلى حوالي 12000 سنة ق.م، كما عثر على بقايا الفخار في موقع الكوالي وكهف راسل مما يؤكد على وجود الانسان بالمنطقة لاسيما خلال الفترة النيوليتية.[12]

## 3-2 الفترة التاريخية القديمة:

قدمت شعوب عدة إلى شمال إفريقيا على غرار الفينيقيون والرومان والوندال، توسعوا على طول الشريط الساحلي للضفة الجنوبية الغربية للمتوسط عامة وتيبازة خاصة، التي استوطنوا بها باستغلال إمكانياتها الطبيعية والبشرية.

وأول من قدم إليها الفينيقيون فأنشئوا بها مرافئ وموانئ تجارية على غرار باقي مدن شمال إفريقيا[13]، وما يزال يشهد على ذلك إلى يومنا هذا تابوت ضخم بوسط ميناء مدينة تيبازة، والذي يعود تحديدا إلى حوالي القرن الخامس ق.م[14].كما تم اكتشاف بذات الموقع بعض القبور بداخلها وجد مصابيح وأثاث وأواني زجاجية[15]. ودلت الاكتشافات الأثرية التي عملت على الكشف على خبايا المدينة أنها كانت من المدن الهامة والاستراتيجية خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الثاني ق.م، كانت في البداية تابعة للقرطاجيين ثم ألحقت بمملكة نوميديا الموحدة.[16]

وبعد نهاية الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية تمكن ماسينيسا من استعادة الأراضي النوميدية ومنها مناطق تيبازة من القرطاجيين، مستغلا إحدى بنود معاهدة زاما فأصبحت ضمن أراضي مملكته[17]، فتيتوس ليفيوس يذكر لنا أن ماسينيسا كان بإمكانه العودة إلى المصدر الحقيقي لحقوقه وحقوق أجداده، وبذلك فلن يبق أي شبر من الأراضي الإفريقية للقرطاجيين.[18] ومن أراضي تيبازة التي تم استعادتها شرشال (يول)[19]، التي أصبحت في فترة حكم مكيبسا(*Micipsa*) ابن ماسينيسا(*Massinissa*) عاصمة لمملكته المترامية الأطراف.[20]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الثاني
(جمادي الثانية 1446هـ/ ديسمبر 2024م)، ص 9– 22

بقيت أراضي تيبازة تحت حكم النوميديين إلى غاية إعدام الملك بطليموس من طرف الرومان، الذين تمكنوا بذلك من القضاء على آخر ملك نوميدي يحكم الأراضي النوميدية، فضموا أراضي نوميديا بما في ذلك تيبازة إلى الإمبراطورية الرومانية، لفترة زمنية تصل إلى خمسة قرون.[21]

ولج الوندال إلى شمال إفريقيا بعد الرومان عبر مضيق جبل طاري (أعمدة هرقل)، وخلال توسعاتهم على طول الشريط الساحلي وصلوا إلى تيبازة، فقاموا بتخريبها وتعذيب سكانها، وهو ما أرغم الأهالي على الهجرة نحو شمال اسبانيا، وتقع المنطقة في سيطرة الوندال *(les Vandales)*.

تيبازة إذن كغيرها من مناطق الساحل الشمالي لإفريقيا التي وفد إليها أجناس مختلفة، باعتبارها منطقة جذب سكاني على مر العصور، ورغم المآسي العسكرية إلا أنها شهدت تبادلا حضاريا مع الشعوب التي استوطنت المنطقة تأثيرا وتأثرا، في مختلف المجالات ونخص بالذكر الجانب الاقتصادي، هذا الأخير الذي شهد ازدهارا خلال الفترتين البونيقية والرومانية كما سيرد لاحقا.

## 4. الحياة الاقتصادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة البونيقية (ق8–ق2 ق.م):

تركزت الحياة الاقتصادية لتيبازة خلال الفترة البونيقية على التجارة، وخاصة خلال المرحلة الأولى لوصول الفينيقيين، الذين اتصلوا بالمنطقة في إطار التجارة عن طريق المقايضة، فتزود التجار الفينيقيون بالمواد الأولية منها وسوقوا بها مختلف منتجاتهم وسلعهم التي جلبوها من الوطن الأم[22]. لتتحول هذه العلاقة التجارية إلى استقرار الفينيقيون بالمنطقة بعد اكتشافهم لها، واطلاعهم على مختلف الثروات التي تتوفر عليها، فأنشئوا بها مرافئ وموانئ تجارية.[23]

ولا يزال تابوت ضخم إلى يومنا هذا بوسط ميناء مدينة تيبازة، شاهدا على الحقبة البونيقية والذي يؤرخ له ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وعليه فتيبازة لم تكن خلال هذه الحقبة التاريخية مجرد مركز عبور وحسب، بل منطقة مهمة للفينيقيين ثم للبونيقيين فتبادلوا مع أهاليها التأثير والتأثر وبشكل خاص في المجال الاقتصادي[24].وتعتبر التجارة أهم نشاط اقتصادي برعت فيه المنطقة خلال هذه الفترة، فاختار البحارة البونيقيين المنطقة لما لها من مؤهلات تجارية، حيث أن أهم المعالم القديمة بولاية تيبازة تعود إلى الفترة البونيقية، أين أسس بها التجار البونيقيين بالتعاون مع سكان المحليين أهم ثلاث مدن واستوطنوا بها، وتتمثل في كل من تيبازة *(Tipasa)*، قوراية *(Gunugu)* و شرشال *(Iol)*.[25]

وما يلاحظ إلى يومنا هذا محافظة نفس المدن على بريقها الاقتصادي، وبشكل خاص الزراعة والتجارة وهما النشاطان الاقتصاديان اللذان يمارسان بشكل واسع من قبل سكانها، وتشهد هذه المدن كما في الفترة القديمة توافدا من قبل سكان المدن الأخرى القريبة أو البعيدة منهما.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على استقرار البونيقيين بإقليم تيبازة، وسهل عليهم ممارسة نشاطهم الرئيسي المتمثل في التجارة هو سهولة شواطئها الملائمة للرسو وتوفرها على التعريجات التي سهلت عليها إقامة المرافئ والموانئ التجارية، فضلا على الميلان البسيط الذي سهل عليهم إيصال سفنهم إلى اليابسة مع حلول الليل، بهدف تأمينها من مختلف المخاطر، ولا ننسى ذكرا وجود جزيرتين تقابلان المرفأ مباشرة تعملان كحاجز طبيعي لحماية السفن من تلاطم الأمواج (**ينظر: خريطة مخطط تيبازة البونيقية**).[26]

**خريطة مدينة تيبازة في الفترة البونيقية**

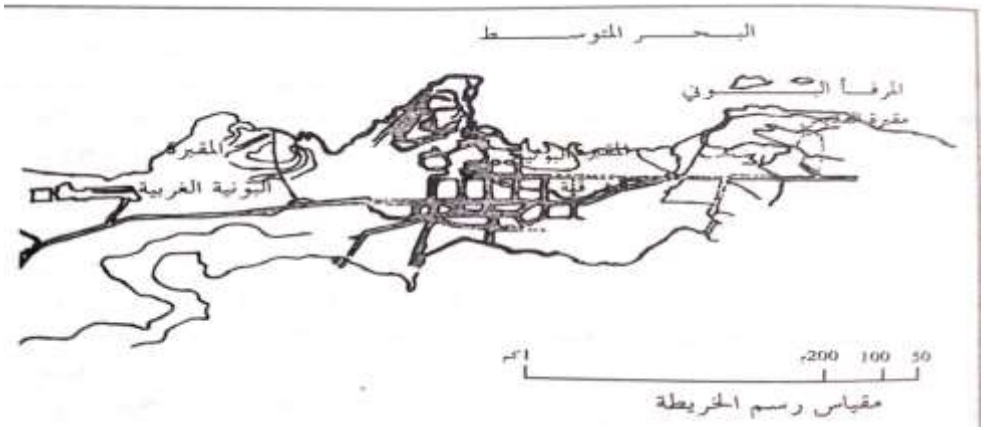


**المرجع: مُحَمَّد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 183.**

توسعات البونيقيين كان غرب تيبازة أين أسست موانئ تجارية في عدة مناطق منها ميناء *شرشال*(يول) التجاري، والذي عثر به عن بقايا فخارية وأنصاب عليها كتابات بونيقية[27]، كما أنشأت مركزا بحريا وتجاريا في قورايا (قونوقو) بقبة سيدي إبراهيم حاليا، والذي يعتبر من أهم المراكز التجارية البونيقية وأهم ما اكتشف بقورايا نقود كتب عليها اسم المدينة بأحرف اللغة البونيقية الجديدة *(G.N.G.N)*[28]، وهذا ما يقودنا إلى الاستنتاج أن الإشعاع البونيقي بالمنطقة استمر حتى بعد تحطيم قرطاجة عام 146 ق.م، وذلك نظرا لشدة التأثير والتأثر بين السكان المحليين والبونيقيين وبشكل خاص في المجال التجاري.

لم يهتم البونيقيين كثيرا بالجانب الزراعي لذا كانوا تجارا أكثر منهم مزارعين، فكانوا يتزودون بالمنتجات الزراعية من سكان شمال إفريقيا بما فيهم سكان إقليم تيبازة، وفي هذا يذكر بوليبيوس *(Polybe)* أن سكان

شمال إفريقيا كانوا يمارسون الفلاحة ويخدمون الأراضي الزراعية، ويزودون التجار القرطاجيون بكل احتياجاتهم من المواد الفلاحية، كما يذكر أن المنطقة كانت أراضيها خصبة وغنية بالمواشي.[29]

فالعلاقات بين البونيقيين وسكان تيبازة كانت علاقات سلمية وقبول كل منهما بالآخر، فتحولت إلى علاقة اقتصادية استفاد منها الطرفين.[30]

وبناءا على ما تقدم فإن الحياة الاقتصادية في تيبازة خلال الفترة البونيقية كانت قائمة على الزراعة والتجارة، فالنشاط الأول يقوم به السكان المحليين ينتجون مختلف المنتجات الفلاحية ويقومون بتبية المواشي، بينما البحارة البونيقيون يجلبون مختلف المنتجات الصناعية كالفخر والزجاج والمصابيح، فتم في البداية التبادل عن طريق المقايضة ثم عن طريق البيع والشراء بعد الاهتداء إلى سك العملة.

## 5. الحياة الاقتصادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة النوميدية:

قبل توحيد نوميديا من طرف ماسينيسا كانت العديد من الأراضي النوميدية تحت السيطرة القرطاجية منها إقليم تيبازة، وبإدراج بند في معاهدة زاما 201 ق.م على إثر انهزام قرطاجة أمام روما، يسمح لماسينيسا باستعادة أراضيه وهو ما سمح باستعادة أراضي واسعة بما فيها تيبازة[31]. خاصة وأنها كانت منطقة كبقية الأراضي النوميدية التي تم استعادتها، تتميز بخصوبة أراضيها ومردودها العالي.[32]

رغم تغافل المصادر القديمة عن الحديث عن الحياة الاقتصادية لنوميديا وخاصة الزراعة، إلا أن جمع بعض المعلومات الموزعة على شكل شذرات تمكننا من بناء تصور حول الزراعة في الأراضي النوميدية عامة وتيبازة خاصة، خلال فترة حكم الملك ماسينيسا الذي أولى لها عناية كبيرة[33]. حيث مارس سكان تيبازة الزراعة وخاصة إنتاج الحبوب منذ زمن بعيد، إلا أنها تطورت بشكل ملحوظ من حيث الإنتاج والوسائل المستعملة خلال فترة حكم ماسينيسا.[34]

توفرت لتيبازة مختلف عوامل النهوض بالزراعة على غرار بقية الأراضي التي ضمها ماسينيسا للملكة النوميدية، حيث تميزت أراضيها بالخصوبة وشبكة مائية وفيرة، فضلا على مناخ المنطقة المتوسطي ذو شتاء مطير ومعتدل[35]، وأراضي تيبازة تدخل ضمن الأراضي التي ذكرها سترابون وهي أراضي خصبة تتوزع على طول الشريط الساحلي لنوميديا، وبها العديد من المدن والأودية الجارية على ضفافها سهول غنية[36]،

ويضيف بومبيوس ميلا *(Pompius Mella)* أن أراضي تيبازة بالرغم من ضيق سهولها، إلا أنها تعتبر أكثر الأراضي المروعة بمختلف المزروعات وهي أكثر ثراء.

ومن أهم ما أنتجته أراضي تيبازة نذكر الحبوب والتي خصصت لزراعتها مساحات معتبرة، وبشكل خاصة زراعة القمح[37]، بالإضافة إلى القمح أنتجت أراضي المنطقة البقول، والعديد من الخضروات كاللفت والبصل[38]، كما زرع سكانها الثوم والخرشوف الذي يزرع في شهر نوفمبر، وأنتج الخرشوف بكثرة وكان كثير الاستهلاك عن طريق خلطه مع الخل والعسل.[39]

إضافة إلى الزراعة اهتم سكان تيبازة بالصناعة، خاصة وأن المنطقة حسب سترابون توفرت لها مقومات طبيعية لتطوير الصناعة كالمعادن والخشب[40]، ونظرا لأهمية الزراعة في حياة سكان تيبازة فقد اهتموا بتطوير وصناعة أدوات فلاحية، بما يتماشى مع التطور الحاصل في الزراعة.[41]

ومن الأدوات الأساسية التي برع السكان في صناعتها نجد الفؤوس، باستخدام مختلف المعادن المتوفرة لديهم[42]، وهو ما كشفت عنه العديد من الاكتشافات الأثرية ف مواقع عدة بالمنطقة، أهمها العثور على ثلاثة فؤوس مصنوعة من معدن البرونز بكل من مدينة الجزائر (إيكوزيوم) ومدينة شرشال (يول)، حيث استعملت هذه الفؤوس المحلية الصنع في مختلف أعمال المزارعين.[43]

وبفضل التطور الاقتصادي لنوميديا عامة وتيبازة خاصة مع مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، طور خلفاء ماسينيسا الذين كان مقر حكمهم بشرشال (يول) صناعة وسك النقود، حسب الحاجة التي تتطلبها ممارسة التجارة الداخلية والخارجية، فاستخدموا في ذلك معادن عدة كالذهب والفضة[44]، واستمر ذلك حتى سقوط العاصمة يول في أيدي الرومان، فقام كل من الملك مكيبسا ويوغرطة ويوبا الأول بنقش صورهم على وجه العمل، ونقش صور مختلف الحيوانات التي كانت تعيش بالمنطقة على وجه العملة الآخر.[45]

برز بريق تيبازة الاقتصادي بشكل لافت خلال الفترة البونيقية، وبشكل خاص بعد وفاة ماسينيسا ونقل ابنه مكيبسا العاصمة إلى مدينة يول، فساهمت المنطقة في التطور الاقتصادي لنوميديا وفي شتى المجالات (الزراعة، الصناعة والتجارة)، نظرا لما توفرت عليه المنطقة من مؤهلات طبيعية وبشرية. وهو ما حرك شهية الرومان للاستحواذ على المنطقة والظفر بخيراتها، ليتم لها ذلك بعد احتلال مملكة نوميديا بداية من عام 40م.

### 6. الحياة الاقتصادية لمنطقة تيبازة خلال الفترة الرومانية:

بقيت أراضي تيبازة مدة طويلة ضمن أراضي موريطانيا القيصرية، إلى غاية فترة حكم آخر حكامها ممثلا في الملك بطليموس، هذا الأخير تم اغتياله من طرف الرومان بهدف الإسراع في ضم أراضيه إلى الإمبراطورية الرومانية، وهو ما تم فعلا بما فيها ضم أراضي منطقة تيبازة وبالتالي يتواصل عطاء هذه المنطقة اقتصاديا، لكن هذه المرة يتم استغلالها عن طريق الاحتلال والسيطرة الرومانية ولمدة طويلة.

وقد خططت روما لاحتلال المنطقة مباشرة بعد سقوط قرطاجة، حيث كانت تراقب ضم الأراضي النوميدية الساحلية، فحاولت في البداية إقحام تجارها في مختلف المعاملات التجارية تحضيرا لنشر جاليات لها في مواقع هامة من نوميديا منها تيبازة[46]، والتي غزاها الرومان وحولت إلى مستعمرة عسكرية على يد الإمبراطور كلاوديوس، لتتحول إلى مجمعا حضاريا للرومان نتيجة للرخاء الاقتصادي لها وأطلق عليه اسم (كولونيا إيليا تيباسنسيس)، ونظرا للتطور الاقتصادي لتيبازة خلال الفترة الرومانية تم التوسع في حياة الترف بإنشاء مختلف المرافق في المدن الرئيسية كالفوروم، المسارح، المعبد الكبير، البازيليكا والحمامات وغيرها.[47]

وتجدر الإشارة إلى أن تافزا توسعت خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الثالث الميلاديين، حيث كانت قبل هذا التاريخ محصورة في ربوة المنار الوسطى لتتوسع أكثر وأصبحت تضم 60 هكتارا، وشهدت كذلك ارتفاع في عدد سكانها الذي وصل إلى حوالي عشرين ألف نسمة، وتوسعت كذلك في مجال العمارة المدنية والترفيهية، وهو ما أكسبها مكانة اقتصادية هامة خلال فترة الاحتلال الروماني لاسيما مجال التجارة.[48]

ولعل خير مثال على الترف الاقتصادي الذي عرفته تيبازة خلال الفترة الرومانية، تشييد مدرج في مدينة يول المعروفة في الفترة الرومانية بقيصرية موريطانيا، يعتبر الفريد من نوعه في الامبراطورية الرومانية، بني في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وقدرت قدرة استيعابة حوالي 9900 مشاهد[49]، ما يوحي إلى أهمية المدينة وكثرة سكانها.

وأهم ما جذب الرومان لهذه المنطقة بهدف استغلالها اقتصاديا هو المناخ، فبحكم موقعها الجغرافي فيسود بها مناخ البحر الأبيض المتوسط[50]، فضلا على أن الرومان وجدوا بالمنطقة قاعدة زراعية متينة، أدخلوا

عليها تحسينات جديدة فساهموا في إثرائها وتطويرها أفقيا وعموديا، باستغلال كل الطاقات الطبيعية والبشرية[51]، خاصة وأن الزراعة كانت أساس الحياة الاقتصادية والاجتماعية في روما، وكان المواطن الروماني الذي استوطن المنطقة يعتبر نفسه حاملا لصفتين متلازمتين كونه فلاحا وجنديا[52]، حيث يساهم في إرسال الخيرات الزراعية إلى روما ويستغل في حماية الاحتلال والاستيطان في شمال إفريقيا، الذي سهل على الرومان ممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية وبشكل خاص الزراعة والصناعة.

نظرا لتوفر الظروف الملائمة للزراعة بإقليم تيبازة، وبشكل خاص الشبكة المائية بتوفر اقليم تيبازة على عدة منابع للمياه، كمنبع واد البلاع، وادي سيدي ابراهيم، بالإضافة إلى أودية كثيرة ممتدة الشرق إلى الغرب كوادي مزفران، واد الهشم و واد الداموس[53]، فعمل الرومان على استغلال أراضيها الخصبة في مختلف الزراعات التي كان النوميديون يمارسونها قبل الاحتلال الروماني، منها التوسع في غرس الأشجار المدرة للأرباح كالزيتون، الكروم، التين، فضلا على إنتاج الحبوب وبشكل خاص القمح الذي كان ينتج بكميات كبيرة.[54]

ولعل أهم الزراعات التي اهتم بها الرومان هي توسيع غرس الأشجار لاسيما شجرة الزيتون، والتي خصصت لانتاج زيت الزيتون وهذا ما كشفته التنقيبات الأثرية بوجود مدقات لعصر الزيتون منها 11 مدقة مخصصة لمزرعة الناظور نواحي شرشال، والتي استخلص منها أجود وأنقى أنواع الزيوت.[55]

عكف الرومان على تطوير الصناعات الفخارية (**أنظر: شكل الأواني الفخارية**)اعتمادا على النماذج المحلية خاصة وأن المنطقة غنية بالمادة الأولية، وأهم المصنوعات نجد الصناعات المعروفة بالجداريات الرقيقة، الأواني المختلفة كالأطباق، الصحون، الأباريق، القينينات الزيدية اللون، الجرار المختلفة[56]

**أواني فخارية متنوعة خلال الفترة الرومانية مكتشفة بتيبازة.**

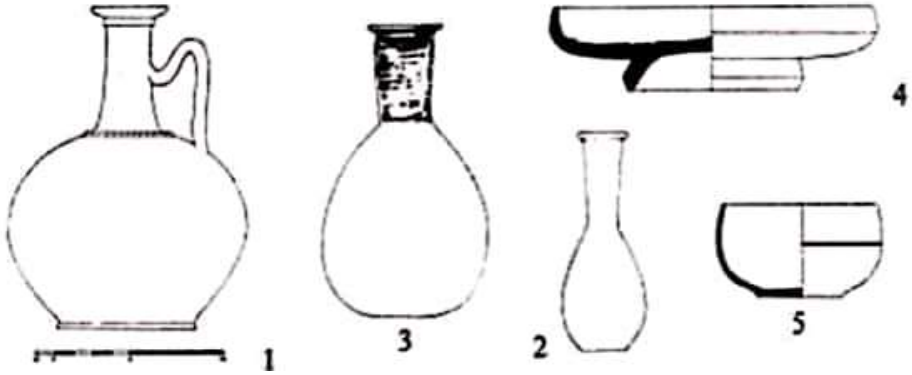


**المرجع: مصطفى دوربان، المرجع السابق، ص 154 (بتصرف من الباحث)**

كما لم تغفل روما على الجانب التجاري للمنطقة بفضل كثرة الإنتاج الزراعي والصناعي، فقد طورت المحطات والموانئ البحرية التي تركها البونيقيون والنوميديون بل وأنشأت أخرى جديدة، وهذا بتحويلها إلى مناطق عمرانية كبيرة كتيبازة ويول وقونوقو، بهدف تنشيط الحركة التجارية تصديرا واستيرادا في حوضي البحر الأبيض المتوسط الشمالي والجنوبي، علما أن المنطقة كانت مخزن للبضائع باختلاف أنواعها.[57]

ولتطوير التجارة وتوسيعها في كامل البلاد النوميدية عامة وتيبازة خاصة، فقد اهتم الرومان بشق الطرق باعتبارها سبيل وصول المنتجات من مناطق الإنتاج إلى موانئ التصدير، رغم أن هذه الطرق في بداية الاحتلال كانت موجهة لأغراض عسكرية لكن مع مرور الوقت حولت لأغراض تجارية، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الطرق كانت موجودة قبل الاحتلال الروماني للمنطقة.[58]

## 6. خاتمة:

تبين لنا من خلال هذا العرض الموجز لتاريخ منطقة تيبازة وحياتها الاقتصادية قديما، أنها كانت ولا تزال منطقة اقتصادية بامتياز لما تمتلكه من مؤهلات طبيعية وبشرية في الزراعة، الصناعة والتجارة.

هذه الأهمية الاقتصادية جعلها منطقة استقطاب سكاني على مر العصور التاريخية، فهي منطقة مأهولة منذ القدم وجذبت إليها شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، بداية بالفينيقيين ثم الرومان وتلاهما كل من الوندال والبيزنطيون.

تيبازة منطقة زراعية ولها مؤهلات طبيعية وبشرية، تنتج منذ القديم مختلف المنتجات كالحبوب والخضروات والأشجار المثمرة، فضلا على تربية المواشي، وهذا الغنى الزراعي حرك شهية الفينيقيين والرومان الذين استوطنوها مدة زمنية طويلة في استغلالها.

كثرة الإنتاج الزراعي والصناعي لتيبازة خلال الفترات القديمة وانفتاحها على البحر الأبيض المتوسط، جعل منها محطة تجارية كبرى، أسست على ضفافها مرافئ وموانئ منها ما هو لغرض الصيد ومنها ما هو لغرض التجارة الداخلية والخارجية.

كل هذا الغنى الاقتصادي لتيبازة والذي عرفته خلال الفترات القديمة لا يزال واضحا، من خلال الآثار والشواهد التي ما تزال تقاوم الطبيعة على طول إقليم الولاية رغم مرور قرون من تشييدها، تروي غناها وازدهارها والذي بقي مستمرا إلى يومنا هذا.

## 7- الهوامش:

[1]عنصر عبدالقادر/ بوخدوني صبيحة، السياحة الأثرية بمدينة تيبازة "دراسة وصفية على الأثار الرومانية المدرجة في التصنيف العالمي لليونيسكو"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 11، العدد الأول، ص 65.

[2]عزيز طارق ساحد، آثار عصور ما قبل التاريخ في منطقة تيبازة: حالة معارف، مجلة دفاتر البحوث العلمية، ص 23.

[3]مُحَمَّد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995، ص ص 14-15.-

[4]Louis Leschi, Tipasa ville de Maurétanie césarienne, éd. Entreprise de Presse Alger, Alger février 1948, p 15.

[5] عزيزي نسيمة، تأثير العامل البيولوجي على بناء موقع تيبازة، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 15.

[6]Azédine Beschaouch et Jean-Pierre Braun, Rapport de mission conjointe Centre du Patrimoine Mondial – ICOMOS sur le site de Tipasa (Algerie), UNESCO – ICOMOS, mars 2006, p 4.

[7] نورة مواس، تيبازة: تاريخ وآثار، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 10، العدد 3، 2022، ص ص 106، 107.

[8]دحدوح عبدالقادر، ولاية تيبازة: محطات تاريخية ومواقع أثرية، دفاتر البحوث التاريخية، المركز الجامعي – تيبازة، 2013، ص 10.

[9]عنصر عبدالقادر، المرجع السابق، ص 67.

[10]عزيز طارق ساحد، المرجع السابق، ص 23.

[11] دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص-ص 10،11.

[12] نورة مواس، المرجع السابق، ص 108.

[13] ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة 2001، ص 97.

[14] عنصر عبد القادر، المرجع السابق، ص 67.

[15]Louis Leschi, op. cit, p 37.

[16] نورة مواس، المرجع السابق، ص 108.

[17]شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب: مُحَمَّد مزالي والبشير بن سلامة،مؤسسةتاوالت الثقافية، ص 114.

[18]Tite-Live, Histoire Romaine, XXXIV, 12, 11 trad. Danielle de Celerq, Paris 2001.

[19] يجمع أغلب المؤرخين على أن اسم (يول) أي شرشال الحالية مأخوذ من إحدى أسماء الآلهة الفينيقية، وذكر هذا الاسم في قائمة مدن رحلة سيلاكس باسم يوليو (Iouliou). (ينظر: مُحَمَّد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة – الجزائر 2003 ص 184)

[20] دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 12.

[21] اصطيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ج6، ص 249.

[22] Djelti Deryal et Ferdi Sabah, Site antiquités de Tipasa, éd. Agence nationale d'archeologie et de protection des monuments et sites historiques, 1966, p 5.

[23] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 180، 181.

[24] عنصر عبد القادر، المرجع السابق، ص 67.

[25] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 11.

[26] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 181.

[27] دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 12.

[28] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 185، 186.

[29] Polybe, Histoire Générale I, 71, 1, Trad. Par Félix Bouchot, éd. Charpentier, Paris 1847.

[30] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 237.

[31] فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م، منشورات أبيك، الجزائر 2007، ص 53.

[32] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ (عشرون قرنا من تاريخ افريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى اخر العهد البيزنطي، ج1، دار النشر بوسلامة، (ب.ت)، ص 174.

[33] سايح مرزوق أحمد، تداعيات الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط (من نهاية القرن الثالث إلى القرن الأول ق.م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة خميس مليانة، 2021، ص 197.

[34] محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص ص 146، 147.

[35] غابريال كامبس، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009، ص 238.

[36] Strabon, Géographie, XVII, 9, trad. Par Amedé Tardin, éd. Hachette, Paris 1867.

[37] Msaddek (M), Rome et la richesse céréalière de la Numidie sous la règne de Massinissa et de Jugurtha, Colloque international ''Jugurtha affronte Rome'', Annaba 20-21-22 Aout 2016, p 2.

[38] Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, XIX, 22, 1, Trad. Par M.E. Litré, éd. Le Chevalier et Comp, Paris 1850.

[39]Ibid, XIX, XLIII, 1.

[40] Strabon, Géographie, XVII, III, 11.

[41]Decret (F) et Fantar (M-H), Histoire de l'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au 5eme siecle ap j-c, éd. Payot, Paris 1980, p 133.

[42]Cadenat (P), Découverte d'une hache de bronze dans la commune mixte de Tiaret, Libyca, T. VI, 1954, p 238.

[43]Camps(G), les teraces d'un age de bronze en Afrique du nord, In: R. Afr, 1960, pp 43-44.

[44]Camps (G), Massinissa ou les début de l'histoire, éd. Libyca, Alger 1960, p 300.

[45] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008 ص.ص 55-56.

[46] محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203-46 ق.م)، ط2، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر 1996، ص 44.

[47] دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 13.

[48] نورة مواس، المرجع السابق، ص 109.

[49] رضا بن علال، مرافق الألعاب الرومانية في مدينة يول بمقاطعة موريطانيا القيصرية خلال القرن الثالث ميلادي، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 3، العدد 5، ص 62.

[50]Bouchenaki (M), Tipaza site de patrimoine mondial, éd. ENAC, Alger 1988, p 12.

[51]خنيش عبد الفتاح، منظومة الاستغلال الزراعي الروماني في المغرب القديم، مجلة البراديغم، العدد 2، أوت 2016، ص 45.

[52] محمد الحبيب بشاري، التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد الأول، ص 14.

[53] عنصر عبد القادر/ بوخدوني صبيحة، المرجع السابق، ص 64.

[54]Leveau Phlippe, Caesarea de Mauritanie –une ville et ses campagnes, In : Annales, Economies, sociétés, civilisations, 43[e]année, N.2, 1998 p 514.

[55] هاجر شيخي و صبيحة أوكيل، الزيتون والزيت في نوميديا وموريطانيا القيصرية خلال الاحتلال الروماني، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 6، العدد3، ديسمبر 2022، ص 985.

[56] مصطفى دوربان، مقاربة منهجية للتأريخ باستعمال الفخاريات – المقبرة الغربية لمدينة تيبازة كنموذج-، مجلة دفاتر البحوث العلمية، ص.ص 150-152.

[57] أقوني الياسمين، السياسة الرومانية في الجهة الشمالية الشرقية لموريطانيا القيصرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 2، شتاء 2015، ص 16.

[58] اسيا مسعودي بوعجيمي، إنشاء وتطور المرافق الأساسية للتجارة الرومانية في المغرب خلال العهد الامبراطوري الأول، مجلة حوليات جامعة الجزائر، المجلد 8، العدد الأول، ص.ص 161-162.